

التدين والوسط الرقمي

قراءة انثروبولوجية للممارسات و التصورات في الفضاء الافتراضي

Religiosity and the digital medium An anthropological reading of practices and perceptions in the virtual space

بشير بن صالح^{1*}

¹ جامعة وهران 2 محمد بن احمد - الجزائر-

bensalah.bachir@yahoo.fr

د.ا / مصطفى زاوي²

² جامعة وهران 2 محمد بن احمد - الجزائر-

drzaoui1@hotmail.fr

تاريخ القبول: 2023/02/09

تاريخ الاستلام: 2023/01/08

الملخص:

ازداد الاهتمام الأكاديمي بقضايا التكنولوجيا الاتصالية ومستقبل المجتمع والإنسان خاصة، وهذا منذ أن شكل الانترنت فضاءه المعلوماتي وانبثاق الجماعات الافتراضية حيث أصبح هذا الفضاء الإلكتروني جزء من الحياة اليومية للإنسان.

يشكل الشأن الافتراضي جوهر التحولات التي تطبع هذا العصر، إنها حركة تحول للإنسان وللمجتمعات عبر "أنموذج" جديدة للاتصال الذي أعطى مسارا آخر للوجود الاجتماعي هل نحن أمام إعادة التساؤل حول مفهوم الزمن/ المكان.

تشكل الافتراضية نقطة تحول للإنسان ضمن منظومتها السوسيوثقافية، ويشكل الفضاء المعلوماتي، الحيز والإطار التي تتم بداخله تجميع الممارسات وانتظارات الممارسين، أنه فضاء تسكنه جماعات تمارس فيه أشكالاً جديدة، بقيم جديدة وبهويات مختلفة، "إنه فضاء غير مرئي وغير مرتبط بمكان وزمان والذي تتداول

* المؤلف المرسل: بن صالح بشير، الايميل: bensalah.bachir@yahoo.fr

فيه المعلومات وتخلق فيه ثقافات، وتنتج فيه تصورات ومعاني. وعليه نطرح التساؤل التالي ماهي التصورات و الاممارسات الجديدة التي ارسست معالمها في الوسط السوسيو - تقني مخالف للواقع الموضوعي الكلاسيكي؟ وكيف نعيد اشكلة مفهوم التدين في البيئة الرقمية و التحول نحو ممارسات جماعية و فردية جديدة؟.

الكلمات الدالة: الجماعات الافتراضية، الثقافة السبيرانية، التقنية، الوجود، التدين، التحول الاجتماعي، الأنثروبولوجيا، الرابط الاجتماعي الإلكتروني، الهوية، شبكات التواصل الإلكتروني

Abstract:

Academic interest in the issues of communication technology and the future of society and people in particular has increased, and this is since the formation of the Internet in its information space and the emergence of virtual groups, as this electronic space has become a part of the daily life of man. The virtual matter constitutes the essence of the transformations that characterize this era. It is a movement that transforms people and societies through a new “model” of communication that gave another path to social existence. Are we facing a re-question about the concept of time / space?

Virtualization constitutes a human turning point within its sociotechnical system, and information space constitutes the space and framework within which practices and practitioners' expectations are collected. It is a space inhabited by groups in which they practice new forms, with new values and different identities. And cultures are created in it, and perceptions and meanings are produced in it. And accordingly, we ask the following question: What are the new perceptions and practices that have established their features in the socio-technical milieu, contrary to the classic objective reality? And how do we re-problem the concept of religiosity in the digital environment and the shift towards new collective and individual practices?

Keywords: Virtual groups, cyber culture, technology, existence, religiosity, social transformation, anthropology, Electronic social link, identity, Electronic communication networks.

• مقدمة

ازداد الاهتمام الأكاديمي بقضايا التكنولوجيا الاتصالية ومستقبل المجتمع والإنسان خاصة، وهذا منذ أن شكل الانترنت فضاءه المعلوماتي وانبثاق الجماعات الافتراضية حيث أصبح هذا الفضاء الإلكتروني جزء من الحياة اليومية للإنسان.

يشكل الشأن الافتراضي جوهر التحولات التي تطبع هذا العصر، إنها حركة تحول للإنسان وللمجتمعات عبر "أنموذج" جديدة للاتصال الذي أعطى مسارا آخر للوجود الاجتماعي هل نحن أمام إعادة التساؤل حول مفهوم الزمن/ المكان.

تشكل الافتراضية نقطة تحول الإنسان ضمن منظومتها السوسيوثقافية، ويشكل الفضاء المعلوماتي، الحيز والإطار التي تتم بداخله تجميع الممارسات وإنتظارات الممارسين، أنه فضاء تسكنه جماعات تمارس فيه أشكالاً جديدة، بقيم جديدة وبهويات مختلفة، "إنه فضاء غير مرئي وغير مرتبط بمكان وزمان والذي تتداول فيه المعلومات وتخلق فيه ثقافات، وتنتج فيه تصورات ومعاني.

أصبح الجسد البشري وحواسه متفاعلين مع هذه التقنية الاتصالية، وصار من الصعب تحديد هذا الجسد باعتباره وحدة مادية محصورة في الزمان والمكان، إذ ثمة من يقول اليوم بضرورة الحديث عن "الجسد المتشعب" على غرار ما يتم الحديث في حقل الإعلاميات عن "النص المتشعب" الذي هو نص غير خصي أو مجموعة من العقد المرتبطة فيما بينها غير الأيقونات التي تتيح التنقل من معلومة لأخرى.

(ALAIN .G ,2002,81).

وعليه كل هذه التدايمات جعلتنا في موقف تساؤل، حيرة، قلق معرفي، وهنا ارتأينا أن نوجه اهتمامنا نحو نموذج جديد للمقاربة الأنثروبولوجية، التي من خلالها نفسر ونؤول هذه الظاهرة الاتصالية الجديدة والتي تحمل في طياتها أنساقا وبنيات ومفاهيم تختلف على الطروحات الكلاسيكية التي اعتدنا عليها عبر المنتوجات المعرفية الأنثروبولوجية والسوسولوجية.

إن هذه التحولات في براديجم الاتصالي هو الحاسوب الذي أصبح شكل من بين أشكال نشر المعرفة والتفاعل مع الأفكار والرؤى التي تدخل الممارسين في سياقات غير متناهية من المعلومات، فالصورة والنص عنصران أوليان لتلاحم هذا الإنسان في الوسط الرقمي. (Maffesoli. M , 2004,123).

أمام هذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة، في وعاء ومحيط افتراضي بيني الأفراد ممارساتهم الاتصالية، بدخولهم في حركة تفاعلية متميزة التي أخذ تنمو وتشكلت حياة اجتماعية في وعي الممارسين عبر فضاءات التواصل الإلكتروني، التي تشكلت بفعل التخيل والمخيال الجماعي هذا الفعل خارج عن الفرد، ويمارس قهر عليهم على حد تعبير "إميل دوركايم".

فالمشاركة عبر الافتراضية تتقاسم كل العناصر التي تبني عليها الظاهرة الاجتماعية بإدخال المعايير والضوابط التي يجب أن يتحلى بها الأفراد الممارسين، هذه الطريقة هي إنتاج لقيم ومعايير اجتماعية للجماعات الافتراضية في هذه البيئة الإلكترونية، إنه فضاء رمزي مبني على تفاعلات التي تتحكم في إنتاج العلاقات. يتضح من خلال الموجة الثانية للانترنت أو ما يسمى بالويب 2.0 أن هذه الشبكة العالمية ساهمت في جذب العديد من المتفاعلين على المستوى العالمي أو المستوى المحلي، وتعد مواقع التواصل الإلكتروني، بيئة افتراضية تتقاطع فيها العالمية الكونية والمحلية، إنها ثقافات وقيم ومعايير أنتجت على خلفية السياق العالمي وتبلورت متغيراتها على الصعيد المحلي ونلاحظ هذه في النواحي التالية:

في المتغيرات الاجتماعية كشكل تكوين الصداقات أو العضوية في الجماعات، أو في المتغيرات السياسية وأشكال تعبئة الرأي العام وظهور المواطنة الافتراضية كمفهوم جديد نابع من رحم هذا الفضاء الرقمي. فالتفاعل الاجتماعي بين الشباب في مستواه الافتراضي نابع من قوة الروابط ونعني بذلك أن الشبكات الاجتماعية والبناء الشبكي يستمد طاقته من انتشار الجيل الجديد للانترنت والذي يسمى ب الويب 2.0، أما المستوى الآخر والدعامة الثانية تتمثل في خواص الروابط والتي تتنوع بتنوع مجال الاهتمام التي تتعدد داخل البيئة الافتراضية.

من أجل فهم وتفسير ظاهرة التدين في الوسط الرقمي وعلاقة الارسين بهذه التقنية الاتصالية وما هي القيم الجديدة التي أنتجتها هذه الممارسات في البيئة الافتراضية انطلقنا من التساؤلات التالية من أجل بناء تحليل أنثروبولوجي - اثنوغرافي يساهم في إرساء براديجم جديد في هذا الحقل المعرفي، بأدوات وتقنيات ذات بعد إبستمولوجي وهنا جاءت هذه التساؤلات لبناء شبكة معرفية والتي نطن أنها تصب في وعاء لا يتعارض والبحوث الأنثروبولوجية المعاصرة، إننا نشق باب جديد من البحوث الأنثروبولوجية بمفاهيم جديدة وتقنيات جديدة وهذا من أجل بلوغ أهدافا على ثلاث مستويات، أولا على المستوى ..ثانيا على المستوى المعرفي الابستمولوجي وهو محاولة تجاوز المفهوم والبعد الكلاسيكي للبحوث الأنثروبولوجية كانت أم

سوسيولوجية وثالثا محاولة تقديم وجها مغايرا حول الممارسة الميدانية الجديدة، بآليات ومنظور لا يتنافى والمعرفة العلمية.

وعليه إن الفضاء الرقمي الذي يمارس فيه الاتصال الالكتروني أنتج تفاعلات لسانية وخطابات رمزية ما بين الفاعلين الافتراضيين، هذه الجماعات كونوا وأسسوا بيئة موازية للعالم الموضوعي أين تميزوا بقيم جديدة وبهويات متعددة. كما أصبحت بيئة البيئة الافتراضية فضاء مسكون من طرف ممارسين الشباب والذين تملكوا مواقع التواصل الالكتروني، والذين أرسوا عادات جديدة بخطابات حول واقعهم الجديد.

● الإطار المنهجي و البنية المفاهيمية :

اعتمدنا في هذا البحث على تقنية الملاحظة بالمشاركة في عملية التواصل الالكتروني، كما اعتمدنا على تمرير المقابلة عبر الوسيط الإلكتروني للمنصة التفاعلية وعليه كنا نتفاعل وتقتاسم المعلومات لكن بدون الدوبان في تلك المجموعات؛ فإن مفهوم الملاحظة ارتكز على ملاحظة النصوص والصور الموجودة على الشاشة، وهذه التفاعلات النصية حللناها وكنا نستخلص معانيها انطلاقا من وجودنا في هذه البيئة الالكترونية الاتصالية.

إن أدوات الاتصال والمعايير الموظفة من طرف الفاعلين نلاحظها عبر هذه المنتوجات النصية والصورية، خالقة بدورها رموزا وأشكالا من التفاعلات.

إن الطابع المقاربة الكيفية لدراستنا لا نهدف إلى التوصل إلى نتائج قابلة للتعميم بل يهدف هذا البحث إلى بناء نموذج جديد للتحليل الذي يساهم بدوره في فهم الاتصال التفاعلي ضمن الشبكة العنكبوتية، و بروز ثقافات جديدة... وهي ثقافة الشاشة *culture de l'écran* ، وأنواع الخطابات الجديدة في هذا الفضاء المرمز.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة مقاربات نظرية التي نراها مناسبة لتفسير وفهم ظاهرة الافتراضية، وسائل الاتصال، التقنية والإنسان، بحيث أننا لا يمكننا أن نعتمد على منطلق أو مدخل نظري واحد من هنا لا يمكن لنا أن نجزم بصحة نظرية أو نفيها، نحن نرى أننا بإمكاننا أن نكيف النظريات حسب مقتضيات الدراسة وأهدافها والمنطلق الإستمولوجي للظاهرة وعليه فإسنادا لطبيعة الموضوع ارتأينا اعتماد مدخلين نظريين وهما التفاعلية الرمزية ومدخل الاستخدامات والإشباع، إن التفاعلية الرمزية تقوم على أساس

تفاعل الأفراد من خلال الرموز المشتركة التي تعطي المعنى sens، لواقعهم وأنشطتهم، فالرموز المشتركة التي تعتمدون عليها في معاشهم اليومي هي التي تحدد مواضيعهم وأدوارهم في المجتمع. كما أن الاتجاه التفاعلي الرمزي لا يركز على تفاعل الأفراد مع بعضهم بل يذهب هذا الاتجاه إلى محاولة دراسة وفهم الرموز ومعانيها من خلال تفسير وتأويل العلاقات التفاعلية وهنا تعد اللغة والإشارات هي جوهر موضوع هذا الاتجاه، وأن سلوك الأفراد وتفاعلاتهم ما هو إلا نتيجة تجسيد للرموز التي يتعامل معها الإنسان ويتأثر من خلالها إما إيجابيا أم سلبيا.

تتأسس التفاعلية الرمزية حول مفهومين أساسيين هما الرموز والمعاني التي تدور في فلك المجتمع أو الجماعات إن الركوز تتجسد في كل ما هو هوياتي باعتبار أن لها القدرة على أن تشكل المعاش اليومي للأفراد باستخدامهم أشكال للتعبير والعيش المشترك، " إنهم ينتقون المعاني والعبارات ويشكلونها حسب مذاقهم الجمالي والنفسي". (benedict .M. 2006.122)

إن الإنسان هذه النظرية يتفاعل اتجاه الواقع الموضوعي وحياته اليومية وأن المعنى الذي يعطيه لواقعه هو نتاج لتفاعله الاجتماعي وانتظاراته، وإنما تتغير من خلال تفسير والبعد الثقافي لكل فاعل ضمن العلاقات الاجتماعية وعليه باعتبار الشريحة المدروسة في هذا البحث هي الشباب في المجال الافتراضي سوف نلاحظ الكيفية التي يتقاسم بها هؤلاء الشباب واقعهم وفضائهم الرمزي، الذي يحمل دلالات وخطابات أثناء تواجدهم داخل هذه البيئة الإلكترونية، وكيف أدى هذا الطابع الاتصالي إلى نسج أحاسيس ومشاعر وميولات التي حركت القيم والسلوك، وهنا يمكن القول أن هذا التفاعل الرمزي بين الإنسان /الإنسان والآلة /الإنسان، والإنسان /الفضاء، والفضاء/الزمن هذا التفاعل أنتج هويات متفاعلة وثقافة خاصة بهذا الفضاء الرمزي

تتشكل الدراسة من المفاهيم التالية: -الاستخدام- الإشباع - البيئة الافتراضية، الفضاء الرقمي، الجماعات الافتراضية، الهوية الافتراضية، مواقع التواصل الإلكتروني.

-الاستخدام: نقصد به في هذا البحث الكيفية التي يتعامل بها الفرد في عملية التصفح على الويب، وما هي عاداته. وهذه العادات هي تكرر الفعل "فالعادة الفردية نمط متكرر للفصل يصدر عن الفرد ويكون مكتسبا وملاحظا، فالعادة الفردية تتعلق بالأشخاص والعادة الجمعية تتعلق بالمجموعات أو أي تجمعات أخرى." (محمد عاطف غيث، 2019، 1996).

-الإشباع: يقصد بهذا المفهوم " هو إرضاء النفس وبلوغ الهدف ويقصد بالإشباع في نظرية التحليل النفسي، خفض التنبيه والتخلص من التوتر، إن التراكم يولد إحساسا بالألم ويدفع الجهاز إلى العمل من أجل إحداث عملية الإشباع وهنا ينخفض التنبيه كأنه لذة" (محمد منير حجاب، 2004، 302) البيئة الافتراضية: هي جدل ما بين المكان/لا مكان، وهي بيئة متكونة من معدات رقمية هذه البيئة هي المكان الذي تبنى بداخله المرجعيات الثقافية وأشكال جديدة من العيش المشترك للمجموعات الافتراضية. مواقع التواصل الإلكتروني، أردنا من هذا المفهوم الزبقي أن نأخذ مسارا آخر في تعاملنا مع مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي، لأن التواصل الإلكتروني مبني أساسا انطلاقا من معدات آلية رقمية خالقة بذلك فضاء حواريا مبني شبكيا ومهندسا على شاكلة الفضاء الفيزيائي الموضوعي. الهوية الافتراضية: وهي شخصية خلق القناع في بيئة رقمية تمارس وتتطرف بداخل المنظومة الافتراضية وينتجون خطابات وشعارات تميزهم عن العالم الموضوعي. الشباب: " هي الحالة العمرية تخضع لنمو بيولوجي من جهة وثقافة المجتمع من جهة أخرى بدأ من سن البلوغ وانتهاء بدخول الفرد إلى عالم الراشدين حيث تكون قد اكتملت مرحلة التطبع الاجتماعي." (صالح ابو اصبح 2000، 21).

1. الاتصال وماهيته:

يشير مفهوم الاتصال إلى العملية التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات بمعنى أن هذا النسق الاجتماعي هو مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين أو جماعة صغيرة وهنا نود أن نؤكد أن تعدد تعريفات الاتصال بتعدد العلوم الإنسانية لا يعد خلافا بقدر ما يشير إلى ثراء المعنى وتأكيد أهميته. إن أقدم تعريفات هي التي ركزت على الاشتقاق اللغوي للكلمة communis باللاتينية، "بمعنى جعل الشيء شائعا ومشتركا وبالتالي فإن الاتصال يتحقق بتوفر مشاركة عدد من الأفراد في أمر ما." فالاتصال هو العملية التي من خلالها تنتشر الأفكار والثقافات ولذلك كانت إسهامات علم النفس وعلم الاجتماع في تعريف الاتصال من خلال العلاقة بين المنبه والاستجابة التي تشير إلى الاتصال كعملية هادفة أو مقصودة.

إن انتقال المعاني بين الأفراد هو الذي يحدد العملية الاجتماعية بل يحدد جميع الأشكال المجتمعية حيث يصبح بقاء الحياة الاجتماعية واستمرارها متوقفا على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها، وهنا يتجسد المفهوم التفاعلي للعملية الاتصالية. (Breton.p 1998, 55)

لقد ساهمت العلوم الاجتماعية في التأكيد على التفاعل الاجتماعي في العملية الاتصالية، وكذلك تأثير السياق الاجتماعي في الاتصال، وهنا إن الاتصال هو صورة من صور التفاعل الاجتماعي، وهو العملية التي يتفاعل بها أطراف هذه العملية من خلال الرسائل في سياقات اجتماعية معينة. (جيهان رشتي، 2007، 115).

2. الاتصال والنسق اللغوي الرمزي.

يرتبط الاتصال بنسق الإشارات وبالأنساق اللغوية فهذه الأخيرة هي المجال الأساسي الذي تستقي منه عملية الاتصال رسالتها، وتفهم في ضوءها المعاني المختلفة لهذه الرسائل. إننا نقصد بالإشارة أو الإيماء، كل حركة جسمية، أو حركة مكتوبة بشكل اكتسبت معنى خاصا وتتضمن شكلا من أشكال الاتصال، إلا أن أغلب هذه الإشارات لا تقف من حيث مضمونها عند المستوى الفردي، وإنما تندرج تحت أنساق ثقافية بالدرجة الأولى، ومن هنا فإن الإشارة تأخذ أبعادا تختلف في إطارها الزماني والثقافي للجماعة وللأفراد. عند هذه النقطة نستطيع القول أن لكل مجتمع ولكل جماعة إطارا ونموذجا اتصاليا يتفق ويتكامل مع النموذج والإطار الثقافي الخاص به.

وإذا نظرنا إلى اللغة فإنها تسمو على الإشارات وذلك بحكم نطاقها ومداهها ومعانيها الخاصة، "فالإشارة هي بمثابة شكل اتصالي مساعد بدائي، أما الكتابة تساعد وتلعب دورا في حفظ الأشكال اللغوية فحصيللة الإنسان من اللغة تحدد نطاق تفكيره، فالإنسان يكسب كلمات وهنا يتعلم المعاني والأفكار والمفاهيم." (Augé.M 1994 77).

إن الفرد مقيد باللغة وحدودها أو باللغات التي هو على علم بها وبخاصة في ظروف الثورة الاتصالية الحديثة، وبظهور التكنولوجيا القائمة على بيئة إلكترونية ذات أبعاد تواصلية غير متناهية وبفضاء مرمز افتراضي.

إن انتشار المعلومات والأفكار وتبادلها بين الناس لا يأخذ شكلا أو نموذجا واحدا، وهنا من الممكن أن نصنف أنماط الاتصال في ضوء العمليات الأساسية الأولية، أي أنا هنا أساليب فنية وجمالية أولية، علمية

الانتشار، كما يوجد أساليب فنية ثانوية تسهل عملية الاتصال، ومن هذه الزاوية يمكن تصنيف الإشارات واللغة والكتابة بوصفها أساليب أولية.

"إن الكتابة تسهل انتقال اللغة والأشكال الرمزية الأخرى وتمكن الوسائل الفيزيائية الأخرى من تنقل الرموز الصورية والتي تدخل الإنسان في تحليلها وتأويل المعطيات الرمزية." (عبد المنعم حنفي، 1994، 90) وعليه فإن الأسلوب التي تتم فيه عملية انتقال الأفكار والمعاني في الإطار العلاقات الأولية هو ذلك النمط الاتصالي "الوجه لوجه".

وهنا فالاتصال مفهوم يشير إلى المجرى الذي تنتقل فيه المعلومات من خلال الجماعة أو المجتمع بحيث يأخذ هذا المجرى أشكالاً وأنماطاً مختلفة، إننا ونحن بصدد تحليل الاتصال وعملياته نتوقف عند هذه المعادلة الاتصالية من يقول؟ وماذا يقول؟ وعن طريق أي قناة؟ ولمن يقول؟ وبأي تأثير؟.

وكقراءة أخرى للاتصال وكوجه آخر مادية الفعل الاتصالي، فالاتصال هو أيضاً مجموعة التقنيات التي أنتجت خلال القرن، فمن الاتصال المباشر التقليدي إلى الاتصال بالتحكم عن بعد بواسطة التقنية ومن هنا فالتفاعل هو القاسم المشترك لعملية الاتصال وهي اللحظة التي تتقاسم فيها المعطيات الحسية والوجودية مع ظهور الرقمنة Digitalization عامة والأنترنت خاصة.

وعليه أصبح الاتصال حاجة عملية اجتماعية، فإن الأنظمة التقنية هي مسالك كلها منفتحة ومتفاعلة وهذه الأخيرة المتمثلة في الحواس والشبكات الإلكترونية و البنيات الهندسية الرقمية، هذه العناصر لا علاقة لها بالنموذج الاتصالي الموحد، فالاتصال العالمي عبر الشبكات الرقمية هو الشكل الجديد والبراديجم الحديث للعملية الاتصالية بين الأفراد التي تتداخل فيها الحقائق والآراء والشعور والاتجاهات والإحساس وطرق الأداء والأفكار بواسطة الرموز من شخص لآخر وإن الاتصال الافتراضي في بيئته الرقمية هو خلق شعور والإحساس بأهمية الأداء ضمن هذه المنظومة الاتصالية الكونية.

3. الانترنت والخصائص الاتصالية الحديثة:

- عالم الاتصال الرقمي

لاحظنا كيف غدى الاتصال يتمثل في وحدة المكان والزمان ومهما اختلف المكان يعكس مدى المرونة في عملية الاتصال الإنساني، ففي الفضاء الرقمي أتت الاستجابة لتحقيق مبدأ المشاركة أو التفاعل في العملية الاتصالية من خلال وسائل الاتصال التي تعتمد على أسلوب المحاكاة باستخدام الحاسوب الذي يعتمد

بالدرجة الأولى على بنية النظم الرقمية التي ساهمت وتساهم في تحقيق عملية المشاركة والتفاعل بين عناصر الاتصال مع اختلاف الزمن والمكان، هذه الخصائص لا يمكن لها أن تحقق دون استخدام الكمبيوتر مع الشبكات التي نقلت الاتصال من المستوى المواجهي إلى الاتصال عبر الزمان بطريقة متزامنة الذي سمي بالاتصال الرقمي الافتراضي.

"هذا النمط هو اتصال عبر الزمان حيث ساعدت عليه عمليات تطوير النظم الرقمية وتقنياتها التي أسهمت في ظهور شكل جديد من الأفكار وأشكال غير متناهية من الاتصال بوصفه اتصالاً رقمياً communication digitale" (محمد عبد الحميد 2007، 202)

- ماهية الفضاء الافتراضي!

- يستخدم الفيزيائيون اصطلاح الفضاء espace بأنه هيكلية النظم المعقدة، ويذهب المختصين في هذا المجال إلى القول أن الفضاء الافتراضي هو إعادة تشكيل للبنية الاتصالية في شكلها المعاصر، وقد أعاد الباحث le febureh تشكيل الحدود الاصطلاحية للفضاء من خلال معالجته لهذا المعطى انطلاقاً من العلوم الاجتماعية وذلك بمنظور جديد فقد حدد ثلاث فضاءات سائدة في العالم:

- الفضاء الفيزيائي التقليدي (الفضاء الموضوعي) - الفضاء العقلي - الفضاء المعلوماتي (الافتراضي، الرقمي)

أ- يعد الفضاء الفيزيائي فضاءاً تجسد فيه الواقع اليومي والتجربة الحياتية منذ وجودنا ومنذ لحضتنا الأولى وتتجسد في هذا الفضاء قوانين الفيزياء وحساب مفهوم الزمان والمكان أنه فضاءاً محكوماً بالجغرافيا وتجلياتها إن هذه المحددات تكسر مفهوم المرونة ويحاول الإنسان السيطرة على أشكالها وسلطتها القاهرة.

ب- الفضاء العقلي: يتمحور هذا الفضاء في المعرفة والثقافة البشرية بحيث تظم الكثير من المبادئ العامة كالعلاقات ومتطلبات الخطاب العقلي الذي يمتد سلطته من الواقع الراهن.

ج- الفضاء الرقمي: يمكن أن نقول أن الفضاء الرقمي هو ذلك الفضاء التي تبني محاكاتها عن طريق البيئة الافتراضية عن طريق الحاسوب الذي يشكل عنصراً أساسياً من عناصره والذي يتفاعل بداخله الإنسان الممارس للتقنية.

وعليه لقد أرسى "Karl popper" مجالات معرفية لثلاث عوالم وشملت :

العالم (1): ويشمل عالم الكينونة للمادة، والفيزياء والأشياء والطبيعة، والطاقة، والحركة وهذه المميزات تقترب كثيرا من الفضاء الفيزيائي التي تتقاسم معه الكثير من الصفات.

العالم (2): ويشمل دائرة الوعي، الأفكار، الميول، الذكريات، الأحلام ويقترب هذا من الفضاء العقلي ويتطابق كثيرا مع القدرات الشعورية ولا شعورية السائدة في العقل البشري.

العالم (3): هو عالم يقترب من فضاء الإعلام والتقنية، إنه فضاء فيه فيض رقمي من المعلومات بل كثافة المعرفة والمفردات مثل سرعة البيانات، المعالجة الرقمية، البيئة الرقمية. (Cigognani:(A)2004.92) إن الفضاء الرقمي في بعده الافتراضي يركز على مبدأ الإنشاء الأماكن فهو يعتمد على العنصر التخيلي فهو في تحديث دائم في عقده المعلوماتية إنه فضاء يمثل مجموعة غير متناهية من المجازات اللفظية في أبعادها الأنثروبولوجية.

فإن اللغة تلعب نوعا من لعبة فيما بين الإنسان و المعدات بما أنه كائن معلوماتي إتصالي ضمن بيئة رقمية، فهوحصيلة هذه البيئة الافتراضية بكل مقوماتها التقنواجتماعية

لقد احتل مفهوم الفضاء /مكان مكانه مميزة في النظرية الفيزيائية الكلاسيكية للكون ومع اينشتاين حول وأعاد صياغة الدائرة الفيزيائية للكون والزمن حيث أعيد تحديد مفهوم المكان/الفضاء حيث يذهب اينشتاين إلى إمكانية قيام فضاء جديد، فجاءت تقنيات المعلومات بإشكاليات جديدة أنشأت فضاءا وبرايدغم جديدا سمي بالفضاء الرقمي المعلوماتي في بيئة افتراضية.

نلاحظ أن هذه الكينونات الاجتماعية في الفضاء الرقمي تنشأ من أجل تمرير الخبر والمعلومات عن طريق حلقات الدردشة يتقاسم أفرادها اهتمامات مشتركة، فالفضاء الرقمي في بنيته الافتراضية يتم بداخله تجميع الموارد المعلوماتية مع آلية نقل المحتوى وتداول البيانات بطريقة آلية. لقد أصبحت الرسائل الرقمية أنموذجا معاصرا في الحياة الاتصالية والتي أمست بديلا عن السلع المعرفية والثقافية التقليدية وقد أطلق على هذا الفضاء بـ (cyberespace) فضاء السايبر أو الفضاء السيبري الذي أسس مفهومه كاتب أمريكي مختص في الخيال العلمي ويليام جيبسون عام 1944 في قصته الشهيرة "القطن والزيتون" حيث أدخل القراء في عالم جديد من الكتابة التي تعتمد على الخيال والعلم.

ويمكن أن نفهم المعاني الجديدة لماهية الفضاء الافتراضي إلى أن العلوم الافتراضية تتألف من بيئة معلوماتية ذات ثلاثة أبعاد بحيث يستطيع الإنسان الدخول في بيئة حاسوبية تتشكل من رسومات وأشكال بحيث

يحتوي هذا الوسط الافتراضي أكثر من مستخدم في بيئة تفاعلية يمكن الانتقال بين مواقعها بطريقة تحيلية من دون وجود قيود التي يفرضها المجتمع في الواقع الموضوعي التقليدي (Castell.(M) 1998 92) هذا من جهة، أما من جهة أخرى بما أن الشبكة الرقمية تربط بين العقد الرقمية فإن فضاء السايبر يلم شتات جميع الحواسيب وتتيح للإنسان عملية الممارسة والإبحار في الفضاء الرقمي بحيث أن هذا الأخير لا يقتصر على المعدات بقدر ما أنتج الفضاء الرقمي ممارسات جديدة وثقافات جديدة وتصورات وانتظارات ذات بعد وجودي جديد.

4. مفهوم المكان وخصائصه

إن أول شيء يتبادر إلى أذهاننا عندما نتكلم عن الفضاء الرقمي هو غياب المفهوم التقليدي للمكان الذي تعاشنا معه منذ زمن، وإنه من الصعب تصور مفهوم للمكان يفتقر إلى قاعدة مادية ترتكز عليها إلى الفضاء الرقمي أو البيئة الافتراضية تخفي المكان وتجعل الممارس يدخل في عالم يصعب التحكم في عوامله لا حسية وهنا تكمن اللعبة الوجودية بين الإنسان، التقنية والوجود وعليه إذا قلنا أن الفضاء الرقمي هو مكان، ينبغي أن نتصدى إلى هذا المفهوم انطلاقاً من المحاور الثلاثة وهي:

- العمليات الفيزيائية
- البيئة الاجتماعية
- إنشاء المعنى

1- العمليات الفيزيائية هي معمارية الحيز الرقمي والبيئة الافتراضية وهنا تتساؤل حول كيفية تشكل فضاء اتصالي الذي يتأسس حوله المجتمع.

يحاول المختصون في ميدان هندسة الفضاء الرقمي إقامة روابط بين ما يسمى بمعمارية الفضاء الرقمي والبيئة الافتراضية وذلك من أجل إنشاء نوع من الاحسان بالمعنى والمكان من طرف الفاعلين الذين يبحرون بين مواقع الفضاء الرقمي، وبذلك تصبح البيئة الافتراضية عبارة عن كيان يتجسد فيه الوجود الاجتماعي الجديد نتيجة لسلسلة من عمليات متعددة وأنشطة تفاعلية ووظيفية، لقد ساهمت البيئة الرقمية في صناعة مكان خاص و متميز الذي تحط الجماعات الافتراضية رحالها فيه من خلال نمط مجرد للمكان في مفهومه السريري حيث أدخلت في هذا الفضاء المتخيل العلاقات والممارسات وقيم ومعايير جديدة التي تبني الإنسان التكافلي وجوده الجديد، وتوليد سلوك يليق بهذا الفضاء الرقمي.

5. المكان الافتراضي بوصفه معطى اجتماعي:

لقد قام الإنسان الممارس بداخل هذه البيئة الافتراضية بإنشاء في تغير المواقف التي تبني في حياتنا الاجتماعية الموضوعية مما أدى إلى التنوع في الاتجاهات والانتظارات وهنا بدأت تخلق هويات اجتماعية للأفراد بداخل هذا النموذج الجديد للاتصال الرقمي، وهنا تعد اللغة أحد العوامل الأساسية في إنشاء هذا الكائن والكيان الاجتماعي الجديد فقد تلعب اللغة الدور الأساسي ضمن هذا الفضاء الرقمي الذي جعل الممارسين يوظفونها في خدمة الدردشة الإلكترونية ومعظم التفاعلات في هذا الفضاء السبراني. وعلى هذا الأساس "لقد تحول المكان إلى بعد يشترك فيه الفاعلون ضمن لغة التي من خلالها يمكن تحديد هوية الآخر على أساس الشعور بالمكان بواسطة بنية الخطاب ومحتواه الاتصالي دون الحاجة إلى الوجود الفيزيائي أو الجغرافي". Eric (G), Jacques 2002. 143.

6 - المكان، وإنتاجية المعنى في الفضاء الرقمي:

إن المكان هو منتج ومعطى وجودي، وهو معنى مصاحب للأنشطة والوظائف وعليه يبني المعنى، وعليه قام مهندسو الرقمنة على تسخير وإرساء والبحث عن الكيفية التي يعاد بها بناء الوجود الإنساني في الفضاء الرقمي بحيث لا حدود مكانية ولا زمنية وهذا المر أخذ أشواطاً بعيدة، و أبحاث معمقة من أجل إنشاء خبرات بداخل هذا الحيز الافتراضي الذي أنسجت حوله القيمة المضافة لهذا الوجود الجمعي. "لقد طرح الفضاء الرقمي مسألة الوجود في البيئة الافتراضية أي الوجود في مكان بلا حدود، بدون جغرافية أي أن الحد الفاصل بين العوالم الفيزيائية والافتراضية يصعب تحديدها (Levy. P 1995. 66) وعليه فمراقبة الفعل الذي يجري في الفضاء الرقمي يعد معايشة من الخارج، والتعمق في تلك التجارب مع الحدث والتفاعلات اليومية والتجارب الفردية والجماعية يشدنا بأن ندرسها من الداخل وهنا فإن الباحث هو في لعبة ما بين المعطى الداخلي وعملية الفهم لمعاني في الفضاء الرقمي ذو البيئة الافتراضية. إن الحدث الرقمي يعيد طرح مفاهيم جديدة في أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية للفاعلين، وإعادة صياغة بناء تحليلي ينتج مفهوماً للمعنى، إنه نسق من التجارب اليومية في فضاء رقمي التي تقاسمتها الجماعات، والأفراد في منظومة اجتماعية محورها الإنسان. الآلة والخيال بحيث تساهم البيئة الافتراضية في إعادة رسم الحدود التقليدية وإنشاء تجربة وجودية جديدة للمعاني التي تتمركز داخل الفضاء الرقمي.

من الملاحظ أن هناك ثلاث نقاط ومميزات الفضاء الرقمي بحيث هناك غياب للحدود الجغرافية إذ لم يعد هناك حدود سياسية أو إقليمية، أو جغرافية، كما أوضحت هذه الحدود أثناء عمليات التواصل والاتصال بمعنى آخر فإن متغير المسافة قد تجاوز في البيئة الافتراضية وأضحى بلا سلطة في الوسط الجديد الرقمي، "فقد غابت سلطة التنظيم لأن هذا الفضاء هو لكل أصبحت السلطة أفقية يودع المشاركين ما يجوبون وما يشاؤون في المجال الديني، أو الأخلاقي أو الاجتماعي". Levy (p)2001.102

لقد بات واضحاً لدينا أن الفضاء الرقمي يتصف بمميزات جعلته يركز على مفهومين أساسيين الكينونة المعلوماتية التي تتجسد في الأفراد الفاعلين، والحيز المكاني هو المكان المسكون من طرف الممارسين، أي المكان الذي يحتوي الجماعات الافتراضية بكل تفاصيلها الثقافية وبنياتها الوجودية. بحيث كان يعتقد أن الفضاء الرقمي هو عبارة عن مجموع حواسب مترابطة، وهذا الفضاء معزول عن الكائن المعلوماتي، وبالمقابل فإن هذه الأخيرة لا توجد بمعزل عن هذه البيئة الافتراضية.

7- الفضاء الرقمي شكل من أشكال البناء الثقافي:

الملاحظ ونحن نتصفح المجال الرقمي هناك تصميم وهذا الأخير هو شكل من أشكال الهندسة المعمارية الافتراضية التي توجه المستخدمين، وتقديم لهم مسارات رقمية التي تحدد وجودهم الاجتماعي الافتراضي، وفي هذا المعنى الفضاء الرقمي هو الأرضية التي تقام عليها مساح النقاشات والتواصل مع الآخر بالبريد الإلكتروني، كما يعد الفضاء كبنية ثقافية ومعرفية يتم من خلالها تبادل المعلومات والمعارف بكل صور الخطاب العلمي والثقافي.

"إن حادثة هذه التقنية في بنيتها الرقمية تعيد لنا طرح مسألة الثقافة والبعد الحضاري لهذا النسيج

الرقمي". Leash P 2009.25

إن الإنسان يميل إلى استخدام البنية النفسية لتوطيد علاقاته والبيئة المحيطة به، "هذه البنية هي إشارات وآليات اتصالية لغوية أو رمزية، فهي أدوات وأنماط سلوكية تجعل الإنسان في تفاعل مستمر مع المتلقي وهذا من أجل الأداء الحسن ضمن وسط اجتماعي وثقافي محدد". Pierre (N)2004.20

تساهم هذه الوسائط في بعدها التقني للفضاء، في ترسيخ مفهوم الثقافة السريرية، والتجانس الثقافي لدى الممارسين في البيئة الافتراضية بيد أن يصبح الفرد في صراع مستمر بين واقعة الموضوعي والمعطى التكنولوجي.

8. المعاش في الفضاء الرقمي

لقد أدت البيئة الافتراضية في بعدها الرقمي إنتاج خريطة جديدة لمعنى الاتصال والتواصل ومعنى الجديد للتفاعل مع الإنسان التكافلي الذي استوطن بيئة حياتية معاصرة، بحيث ظهرت الأسماء المستعارة، ورمزية في استخدامها، وبات الفضاء الجديد، فضاء أسطوريا مقدسا من طرف الإنسان الممارس وخاصة الشباب، فضاء مفتوحا على العالم حيث انهار مفهوم الزمان الفيزيائي التقليدي بعد أن زالت الحدود المكانية، ولن يعد للزمان التحكم في الأفعال المتباعدة عبر اللا جغرافيا وهنا ومع بروز الكون الرقمي هناك إبتلاع للمفاهيم التقليدية للزمن، المكان، الهوية، الوطن، الإقليم، الحدود...

يوفر الزمن الرقمي في البيئة الافتراضية القدرة على أن يكون الإنسان في أكثر من مكان وفي أزمنة مختلفة في النسيج الرقمي، إنه الوجود الجديد في معانيه المتعددة ، إنه عصر الحضارة الرقمية وثقافتها فتحول العالم إلى بناء رمزي ومن الصفر والواحد (0.1) وقد تجلى خطاب جديد يوظف الصورة في مد جسور التواصل بين المستخدم والعالم الرقمي عبر الوسيط الإلكتروني، بحيث بدأ الخطاب اللغوي يتضاءل وبرزت خطابات الصورة التي لا تبالي بآليات اللغة وقواعد النحو...

لقد تحول الإنسان من النص إل الصورة وهذا مع ظهور النص التشعبي hypertexte الذي فكك البناء التقليدي للنص وأفحم فيه المؤثرات الصورية التي غيبت فيه سلطة وجعلته نصا مرثيا سحر من خلاله المستخدم وغاص في عالم من الرموز والأيقونات واخترق هذا الفضاء الرقمي وتفاعل معه مع ظهور الويب (2.0).

9- الانترنت نموذج جديد للاتصال الحديث

جوهر عملية الاتصال هو المشاركة في الأفكار والمعاني والمعلومات فقد تطورت وسائل الاتصال وكذلك تقنية المعلومات وأخذت الوسائل الإعلامية تتجاوز الحدود التقليدية، وأخذت الشبكات الإلكترونية تتوسع وتبنى من خلالها واقع اتصالي جديد. لقد احتلت الانترنت مكانا ضمن النسق الاجتماعي، أين أصبح الإنسان في تفاعل مع المعطيات الجديدة وهذا الفضاء الرقمي الذي يمثل مزجا بين وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات فيما يعرف بالاتصال التفاعلي.

يشهد الإنسان المزج بين الحوامل الالكترونية فيما يعرف بالأنظمة الرقمية التي أنتجت لنا النص المتشعب والدخول في العالم الافتراضي والترحال عبر الشبكة العنكبوتية لإيجاد مناطق الاكتشاف وجماعات الحوار في البيئة الرقمية.

"لقد أدت التقنية إلى ميلاد تبادلات افتراضية، في بيئة مرمزة مما خلقت قواعد وتنظيم علاقات فضائية spatiales ما بين الجماعات، هذه العلاقات ذات بعد انفعالي عاطفي (L) Hervey pierre (1995.120)

لقد مرت شبكة الحاسبات الإلكترونية الحواجز الفيزيائية المادية كما أنها اقتلعت الأحكام الاجتماعية ما بين الممارسين فأصبح الاتصال يحدث عن طريق المخيال الفردي أو الجماعي وهنا يذهب بيار ليفي Pierre lévy إلى القول بأن الاتصال يأخذ بعدا روحيا، ويحدث عن طريق الإحساس بالآخر والتفاعل معه في الفضاء الافتراضي." (Levy .p 2000.88)

الفرد نزع قناعه، الجسد يترك مجاله للروح، والروح تتعالى وتسمو عن طريق البيئة الرقمية، جاعلة الواقع الافتراضي واقعا موضوعيا فعوضت اللغة المنطوقة بالكتابة المقروءة.

إن الاتصال المحاكاتي هو القاعدة الأساسية التي تتأسس عليه مجموع الخطابات في تبني العلاقات في بعدها الرقمي، التي تنتج لنا مفاهيم جديدة كالمعايشة، الصداقة، الأنس والألفة.

إن العلاقات في البيئة الرقمية تبني بخاصية الرغبة *desir* والهوى *passion* هذه العلاقات يتقاسمها كل ممارس بداخل الفضاء الافتراضي حيث يزخر هذا الأخير بتعدد الهويات فاسحين المجال للحوار فيما بينهم دون أحكام وأعراف اجتماعية ويأخذ الفضاء الرقمي رمزا من رموز الحرية والتشارك في الحياة الافتراضية.

وعليه انتقل الويب من عملية استهلاكية إلى فعل تشاركي وتزامن هذا مع ظهور الويب 2.0 بتطبيقاته التفاعلية التي تتيح للمستخدمين الدخول في المشاركة الديناميكية في صنع الحدث بداخل البيئة الافتراضية فانتقل المستخدم من فعل القراءة بواسطة الويب إلى عملية القراءة والكتابة والمشاركة بالأفكار على الويب وكنتيجة لهذه التطورات التقنية التي جعلت الإنسان فاعلا في هذا الفضاء التواصلي أعتبر الويب ظاهرة اجتماعية نسجت حولها مفاهيم ومصطلحات متعددة، وهنا اتسع المشهد الافتراضي بالتوازي مع المشهد الاجتماعي الموضوعي مما أدى إلى بروز إشكالات معرفية ذات أبعاد إستيمولوجية أنه برادغيم جديد لواقع اتصالي محوره الشباب ومركزه البيئة الالكترونية في بعدها المعاشي.

يمكن القول أن الويب 2.0 هو تصورا جديدا للشبكة حيث تتيح المجال أمام المستخدم لاستخدام برامج على الموقع من أجل امتلاك قاعدة بيانات والتحكم فيها وهذه العملية تجعل المستخدم يعبر عن نفسه ومشاعره واهتماماته الثقافية بحيث قام الخبراء بتزويد الفاعلين في الفضاء الرقمي بأنظمة تفاعلية من أجل بناء عملية تواصلية تفاعلية انطلاقا من منصات مواقع التواصل الإلكتروني. " إن انتشار الويب 2.0 ليس ثورة تكنولوجية وإنما هو ثورة اجتماعية إذا تدعم وتشجع المشاركة من خلال التطبيقات والخدمات في فضاء تشاركي متجدد وفي سياقات متجددة. "27.2007 (A) Jean noel يرتبط الويب 2.0 بالتفاعلية، يدخل المشاركون في إنتاج المعنى انطلاقا من فهمه لمضمون الرسالة فهم يقومون بإنتاج المحتوى ومن ثم يتفاعلون مع بعضهم حوله ومن الصعب أن نجد تعريفا خاصا بالويب 2.0 إلا من خلال تعاريف إجرائية التي تصب في استخدام المعرفي لكن ما يمكن قوله فإن الويب 2.0 يشمل المدونات، شبكات التواصل الإلكتروني، المنتديات مواقع الإعلام وكل موقع يمكن من خلاله المشاركة وإثراء المحتوى.

إن إحدى الخصائص التجديدية في الاتصال المعاصر هو محاولة إرساء أسلوب اتصالي لا يتيح الواقع الاجتماعي التقليدي ألا وهو الاتصال التبادلي في بيئته الرقمية.

فيتجسد هذا البناء الاتصالي في بعده الثقافي وفي تجاوزه لأحدى خواص الاتصال التقليدي الذي يغيب فيه رجوع الصدى الفوري، فالاتصال التبادلي هو عبارة عن صيرورة دائرية تحدد فيها الأفعال، وهنا فإن المشترك في هذا النظام لم يعد يجد نفسه أمام صور ونصوص مرئية على الشاشة وإنما أمام وجه آخر يتحاور معه أو بالأحرى يقيم نوعا من العلاقات معه في زمن افتراضي وبيئة حاملة في طياتها معايير وقيم تتحكم فيها لوحة المفاتيح و"الماوس". 191.2000 (E) Chocat

وبهذه الطريقة يستطيع المشترك أن ينجر داخل نطاق المعلومات مسارا شخصيا مختلفا عن الآخر، إنه الفعل التبادلي في البيئة الرقمية التي يقوم بتصويبها الفاعل ضمن هذا الفضاء الاتصالي على أساس متطلبات العملية الاتصالية، إن المستخدم الفاعل يحدد هو بداية ونهاية الاتصال التفاعلي بحيث هو الذي يغرس بداخلها القيم والتصورات والانتظارات إنه الفضاء الرقمي في بعده الافتراضي.

يتميز التطور الاجتماعي في العصر الحديث بحدة قوة الوعي عند الفرد والشعور بالحرية في ما يفعل، فالوعي والحرية يزيدان من حدة الإشارة، فالعناصر الاجتماعية للحياة هي وليدة للتحاور والمناقشة

والاتصال بين البشر كذلك العناصر الثقافية هي وليدة البيئة الاتصالية التي تنتج الحضارة وتركيبها في شكل نماذج اجتماعية تتأسس أنساق عقلية في منظومة الاتصال الكوني، إنها حركة عقلانية للتقدم البشري قوامها الإنسان والتقنية.

10. الويب 2.0: من الفرد المستهلك الى الفرد المشارك

جوهر عملية الاتصال هو المشاركة في الأفكار و المعاني و المعلومات و ذلك باعتباره نشاطا يهدف إلى تحقيق الذبوع و شبوع لفكرة أو لموضوع أو نشأة قضية عن طريق انتقال المعلومات أو الأفكار أو الآراء و الاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أفراد أو جماعات باستخدام رموز ذات معنى و مفهوم بنفس الدرجة لدى كل من الطرفين و يمثل الاتصال المركز الرئيسي الذي تنطوي بداخله العمليات الفرعية و قد تختلف من حيث الأهداف، إلا أن المتغير هنا الذي يربطها جميعا هو كونها عمليات اتصالية تستخدم فنون. ان الاتصال ووسائله التكنولوجية تحقق أهدافها من خلال توصيل رسائلها الاتصالية لمعلومات مقصودة. فقد تطورت وسائل الاتصال و كذلك تقنيات المعلومات، و أخذت الوسائل الإعلامية تتجاوز الحدود التقليدية و أخذت الشبكات الإلكترونية المسلك الرئيسي لكل تبادل على مستوى قارة الإنسان. إنها ثورة تدقق المعلومات و انفجارها، و احتلت "الأنترنت" مكانا ضمن النسق الاجتماعي أين أصبح الإنسان في تفاعل مع هذه المعطيات الجديدة، و هذه التكنولوجيا العصرية التي تسمى بتكنولوجيات المعلومات و الاتصال التي نعيشها الآن و هي تتمثل في المزج بين وسائل الاتصال و تقنيات المعلومات فيما يعرف بتكنولوجيا الاتصال التفاعلي (Communication interactive) أو الاتصال متعدد الوسائل (Multi media).

"يشهد الإنسان مزج للهاتف مع الحاسبات الإلكترونية فيما يعرف بأنظمة البريد الإلكتروني، أو مزجا بين الكتابة و الحاسبات الإلكترونية فيما يعرف بأنظمة النص المتشعب" و الدخول في العالم الافتراضي و الترحال عبر الشبكات لإيجاد مناطق للاكتشاف و الجماعات للحوار. غنى هذه الجهات و ميزاتنا (الكلام المكتوب، الأيقونات (icônes) الأحداث) و في وقت التبادلات الافتراضية يولد قانون جديد لقواعد و تنظيم العلاقات الفضائية (Spatiales) ما بين الجماعات ذو بعد انفعالي عاطفي "

الخاتمة

تكمن السمة الكبرى لشبكات الحاسبات الإلكترونية (المعلوماتية) على أنها دمّرت الحواجز الفيزيائية المادية كما أنها اقتلعت الأحكام الاجتماعية ما بين هذه الجماعات و الأفراد، إنهم غير مرئيين، و الاتصال يحدث عن طريق المخيال الفردي أو الجماعي و يذهب "بيار ليفي" (Lévy Pierre) إلى حد القول بأن "...الاتصال يأخذ البعد الروحي و يحدث عن طريق الإحساس بالآخر و التفاعل معه..." 1984.200

1Gergen (K)

هنا يجب على الفرد أن ينزع قناعه، الجسد يترك مجاله للروح والروح تتعالى و تسمى عن طريق الخطاب الإلكتروني و يجب على الفرد أن ينقح كتابته و يجعلها ذات جودة لكي يزيد في إثراء العلاقة و يعوّض اللغة المطوقة بكتابة مقروءة.

و أخيرا فإن المعلومة عن طريق هذا الاتصال المحكّاتي هو القاعدة الأساسية التي تتبنى عليها العلاقة، فهناك من الذين يتعلّمون مع الآخر في فضاء نقدي و منهم من يجذبون الفضاء خاص (intime) مبني على الصداقة و الأُنس و الألفة (intimité).

"هذه التبادلات تحدث بداخل الجهات الإلكترونية عبر ما يسمى بمناطق الخيال للثقافة الافتراضية". و نلاحظ هذا بفضل ظهور هذه التقنيات للاتصال، أخذ الأفراد بداخل المجتمع ينسجون طرق حياتهم الذاتية، و معارفهم و رغباتهم في هذا الفضاء الرمزي الذي دخلوا فيه أملين أن يبسطون أعرافهم الخاصة، ومشاكلهم الفردية على طاولة الافتراضية و وسيلة التقائهم هو هذا النص الإلكتروني عن طريق الحوار المباشر. تلك هي القواعد الاتصالية الجديدة لعالم الشباب الذين بنوه بتجارهم اليومية بممارستهم للأنترنيت... ! هذا المكان الذي يطلق عليه "الفضاء السبيري" أصبح يمثل مرجعيتهم اليومية، لكن ما هو الفضاء السبيري و بماذا يتميز بحيث يستطيع المستخدم أن يتفاعل مع الأشياء كأنها في الواقع المحسوس.

فيمكن مجموعة افتراضية أن تنظم نفسها على أساس روابط مشتركة عن طريق أنظمة الاتصال و قد يجتمع أعضاؤها على أساس نفس مراكز الاهتمام و نفس المشاكل بحيث تصبح الجغرافية غير مرسومة الحدود، و لم تعد تشكل نقطة الانطلاق، فإن هذه المجموعة تنعش بأهواء و النزاعات و الصداقات، إنها تعيش من أي مكان مرجعي مستقر، إنها موجودة حيث وجود أعضائها المتنقلين.

و تعيد الافتراضية ابتكار و خلق ثقافة متنقلة و إظهار وسط للتفاعلات الاجتماعية التي يتم فيها تشكيل العلاقات "إن الافتراضية تنزع عن الجماعة صفة الإقليمية، فتجعلهم "خارج المكان" و يحدث هنا

نوع من التوقف عن العمل يفصلهم عن الفضاء الطبيعي أو الجغرافي و عن زمنية الساعة و المذكرة اليومية، و مرة أخرى إنهم غير مستقلين تماما عن الفضاء الزمني المرجعي لأنهم يجب عليهم أن ينضموا دائما إلى ركائز مادية تلك هي الافتراضية و الواقع المتخيل...!

تتخذ الجماعة الافتراضية مكانا لها في هذا الفضاء السيبري، إنهم موجودون في كل مكان و في تزامن، إنهم في ديناميكية قبلية يشتغلون عن طريق الشبكات الإلكترونية بفضل النقل المباشر و أنظمة الحضور عن بُعد، و خاصة منها "الحوار الإلكتروني" مما يجعل منهم رحلاً من نوع آخر، بدلا من اتباع خطوط الآثار و الهجرة داخل مساحة معينة فإنهم

يشكل الأفراد حياة جديدة في "الفضاء السيبري" في ظل الحرية، و يمارس الفرد عمله بلا قيود، و ملزما بالأعراف و القيم التي يلتزم بها مع من يجيئون معه و ذلك عبر "الميثاق العظيم" أو "إعلان الاستقلال" (*). فمن هذا المنطلق يمثل الحوار نسقا من القيم، و عليه يكتسب الفرد معايير و قيم عن طريق التفاعلات والرموز المنتجة، التي يمكن أن نؤوّلها كتجربة إنسانية جديدة ناتجة بداخلها معارف جديدة، هذا الجديد الذي ظهر في ثقافة خاصة ألا و هي "الثقافة السيبرية" التي تنشأ وتتطور في فضاء خاص و هو الفضاء السيبري التي تعيش فيه هذه الجماعات متحدية المكان، الأعراف و الثقافات و في غمار التفاعلات، تنتج قوة عمل جماعية و فردية داخلية لا تخرج عن نطاق الواقع الافتراضي للأفراد.

(*) John Perry Barlow - :« Déclaration d'indépendance du cyberspace.»

• مراجع المقال بالعربية

1. جهان رشقي، الأسس العلمية لنظرية الإعلام، دار الفكر العربي، ط 7، 2007
2. صالح خليل أبو الأصبع، الاتصال الجماهيري، دار الشروق للنشر، الأردن، 2000
3. عبد المنعم حنفي، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة المذبولي، القاهرة، 1994
4. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر 1996
5. محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت، ط، عالم الكتب، القاهرة، 2007
6. محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، دار الفجر، مصر، 2004

• مراجع المقال باللغة الأجنبية

1. **Alain(G)** : Le virtuel au quotidien, ed circé ,Paris 2002
2. **Augé. (M)** Le sens des autres, Actualité de l'anthropologie, ed fayard, Paris,1994
3. **Benedit (M)**, cyberspace, first teps, ed the MIT press,combredg, 1998
4. **Breton.(p)** Latribu informatique, ed, metaili, Paris, 1990
5. **couchot (E)**:image de l'optique ou numérique, les art visuels et l'évolution des technologies, ed hermes, Paris; 2000
6. **Cigognani:(A)** cyberspace et la communauté virtuel, de book, Paris,2004
7. **Castell.(M)** La société en réseau. T.1.ed Fayard. Paris.1998
8. **Eric (G)**,Jacque lajoie (sous la direction), odysée internet, enjeux sociaux, presse de leuniversité de quebec, canada, 2002
9. **Hervey pierre(L)**: cyberspace et communautique, les presse de l'universitélaval, quebec,1995
10. **John Perry Barlow** - :« Déclaration d'indépendance du cyberspace.»<https://www.cairn.info/libres-enfants-du-savoir-numerique--9782841620432-page-47.htm%C3%A2%E2%82%AC>
11. **Jodelet. (d)** (sous la direction) les représentations sociales. Puf. Paris. 1995

12. **Jean noel** (A) : web 2.0 révolution et nouveaux services d'internet .
EMI ed. Paris
13. **Leash P**: la culture du cyberspace; ed odile jacobe, Paris, 2009
14. **Levy** (p), world philosophie, ed odil jacob, Paris, 2000
15. **Levy** (p), qu'est-ce que le virtuel? Ed la decovert, Paris, 1995
16. **Levy** (p), l'intelligence collective, pour une antropologie du cyberspace, ed odil jacob, Paris, 2001
17. **Levy** (p), World philosophie, ed odil jacob, Paris, 2000
18. **Maffesoli** (M) : La contemplation du monde, figures des styles communautaires, ed, grasset, Paris, 1993
19. **Pierre** (N),(dir) les lieux de mémoire, T,1, Paris, gallimard, 2004
20. **Rheingold** (H), Les communautés virtuelles, Paris, Addison-Weley, France, coll mutations technologiques, 1995.